

توظيف سعيد بن كراد للعلامات السيميائية وأثرها في تحليل الخطاب

SAID BIN KARAD'S EMPLOYMENT OF SEMIOTIC SIGNS AND THEIR IMPACT ON DISCOURSE ANALYSIS

دخيل وهيبة^{1*}¹ جامعة الدكتور مولاي طاهر – سعيدة (الجزائر)، wahiba.dekhil@univ-saida.dz

تاريخ النشر: 2024/09/30

تاريخ القبول: 2024/02/09

تاريخ الإرسال: 2023/06/04

ملخص:

عرفت الدراسات النقدية الحديثة تحولات عديدة، مست جوانب مهمة حاولت طرح أساليب جديدة لقراءة النصوص الإبداعية من خلال الغوص في ثناياها، هذا ما أسهم في انفتاح أذهان النقاد وجعلهم يسعون إلى البحث عن آليات جديدة تساعد على الولوج إلى أعماق النص الإبداعي ومحاورته من داخله، ولعل السيميائيات كانت المنهج الأقرب إلى مقارنة النصوص الأدبية واستنطاق مكانها، مما أدى إلى نشوء علاقة بينها وبين التأويل، فظهرت السيميائية التأويلية التي تهدف إلى البحث في كل الأفعال الدالة التي تنتجها الممارسة الإنسانية في أبعادها الفردية والجماعية، ما دفع بنا إلى البحث في مفهومها وعلاقتها بالتأويل.

الكلمات المفتاحية: التحولات؛ العلامة السيميائية؛ التأويل؛ الخطاب؛ النقد المعاصر.

ABSTRACT:

Modern critical studies have undergone several transformations, touching upon important aspects that have sought to introduce new approaches to reading creative texts by delving into their intricacies. This has led to a broadening of the horizons of critics and prompted them to seek new mechanisms that aid in accessing the depths of the creative text and engaging in a dialogue with it from within. Semiotics, perhaps, has been the closest method to approach literary texts and explore their underlying meanings, which has established a relationship between semiotics and interpretation. Thus, interpretive semiotics emerged, aiming to investigate all the meaningful actions produced by human practices in their individual and collective dimensions, prompting us to explore its concept and its relationship with interpretation.

Keywords: Transformations; Semiotic Sign; Interpretation; Discours; Contemporary Criticism.

1. تمهيد:

* المؤلف المرسل

اهتم العديد من الباحثين والنقاد بجملة التحولات التي شهدتها الساحة النقدية الحديثة، إذ كانت جلّ اهتماماتهم على ما طرأ من تغيرات في المناهج النقدية بعدما كانت تهتم بالسياقات الخارجية للنص؛ بحيث تغفل الجانب الجمالي له، ومن هنا ظهرت المناهج الحديثة كرد فعل على ما كان سائدا سابقا، كان هدفها إعادة الاعتبار للنص الإبداعي والتمركز على داخله مقصية السياقات الخارجية التي كتب فيها ذلك النص، وكذا الاهتمام بلغته لذاتها ومن أجل ذاتها.

ولعلّ أبرز منهج ذاع صيته من هذا الجانب هو المنهج السيميائي، حيث فرض نفسه وسط الساحة النقدية المعاصرة، كمنهج أحاط بمختلف المعارف الإنسانية، وبالتالي أوجد لنفسه مكانة مرموقة في أوساط النقاد، الذي لم يلبثوا إلا وقد بحثوا عن آليات وإجراءات وأدوات تساهم في الغوص في أغوار الخطابات، ومحاولة فك مغاليقها وشفراتها.

لكن من العبث بما كان أن نقرّ بأنّ المنهج السيميائي نشأ من عدم، بل لا يمكن إغفال الدور الكبير الذي لعبته "محاضرات في علم اللغة العام" للسويسري **فاردينا دي سوسير Ferdinand de saussure**، التي كانت بمثابة السراج المنير الذي أنار ظلمة النقد الحديث، ومنها انبثقت المناهج النسقية كالبنوية والأسلوبية والتفكيكية، ولعلّ السيميائيات هي المستفيد الأكبر من هذه المحاضرات، خاصة بما طرحه صاحبها فيما يتعلّق بالثنائيات (اللغة والكلام/ الدال والمدلول).

وقد لمست هذه التحولات الساحة النقدية العربية أيضا؛ حيث ظهر ثلة من النقاد يتصدرون واجهة هذا النهج، منهم من حمل على عاتقه مسؤولية ترجمة الأعمال والكتب النقدية التي كتبها النقاد الغرب، ومنهم من صبّ جلّ اهتمامه على ضرورة الاحتكاك بهم والظفر بالنظريات النقدية الحديثة من منابعها، وذلك من خلال الانضمام إلى الجامعات الأوروبية، لكنهم وجدوا أنفسهم أمام العديد من العقبات، ومرّد ذلك إلى «غياب الفرق البحثية الرسمية والتواصل العلمي المنشود، حيث ظلت جهود الباحثين تبذل على المستوى الفردي فقط، ويحصل التبادل العلمي بينهم كلما أتيح لهم لقاء ظرفي يكون مناسبة لمناقشة بعض القضايا العلمية الوثيقة الصلة باهتماماتهم البحثية، وعليه، فإنه لم يتم التعامل مع هذه الانجازات إلا بالقدر القليل الذي لا يسمح بالإحاطة الشاملة بتفاصيل البحث السيميائي المعاصر»، ولعلّ أبرز اسم اخترناه ليكون نموذجا نعمل عليه في هذه المداخلة هو "سعيد بنكراد"، ذلك الباحث والمفكر الذي صبّ اهتمامه الكبير بالعلامات السيميائية وعلاقتها بتأويل الخطاب، لكن قبل التطرق لهذا الموضوع، ارتأينا أن نسلط الضوء على جانب مهم لا بدّ لنا التطرق إليه، ألا وهو تتبع مسار السيميائيات، والبحث في خلفياتها الفلسفية والمعرفية، قبل الحديث عن انتقالها إلى العرب، وبخاصة عند سعيد بن كراد.

2. بدايات المنهج السيميائي:

من المؤكد أنّ التطور الحاصل في الفكر الغربي الحديث لم ينشأ من عدم، بل كان ذلك نتيجة ثورة الإنسان على الكنيسة، وكذا تمرده على الوضع الذي كانت تعيشه أوروبا آنذاك - ما سمي بعصر الظلام - وبذلك استطاع هذا الإنسان الثورة على المرجعيات التي أرساها الفلاسفة والمفكرون الذين سيطرت أفكارهم على العامة «بدءًا من سقراط مرورًا بأفلاطون وأرسطو وصولًا إلى كانت وهيغل وديكارت (ممن كانوا) يجدون في بناء صرح الفلسفة وإرساء أسس النظم الفكرية الكبرى، وصياغة الفلسفة الجوهرية عن الكون والوجود والمصير»²، كان ذلك مع مطلع القرن العشرين، حين استطاع بعض العلماء الغرب من مثل «جون ديوي وبرغسن وبرتراندرسان، مرورًا بهورسل وهيدغر وسارتر وصولًا إلى دريدا وهابرماز»³ انتهاج النهج الصحيح وتنوير العقول

الضالة من خلال البحث في الموروث الفكري الغربي وتصنيفه إلى علوم متعددة المشارب، وبذلك تبلورت النظريات الحديثة التي خرج من عباءتها مختلف العلوم، كعلوم اللغة والأدب والنقد.

ولعل ما يهمنا في هذا الجانب هو التطور الكبير الذي شهدته الساحة النقدية الحديثة، فبعدما تمرّد فرديناند دي سوسير على المناهج السياقية التي تهتم بدراسة النصوص من سياقاتها الخارجية، فهي بالتالي تنفي القيمة الجمالية التي تحملها النصوص، من هنا ارتأى أن يتغير المسار وتتجه الدراسات النقدية إلى البحث في النصوص الإبداعية من داخلها دون العودة إلى السياق الخارجي لها، اتجهت الأنظار إلى الطرح الذي قدّمه دي سوسير وتحركت الأقلام في العمل على تحقيق ذلك، إذ يكون بذلك قد «أحدث قطيعة إبستمولوجية مع التفكير اللساني القديم، وأعلنت بداية علم جديد يدرس حياة العلامات ضمن الحياة الاجتماعية»⁴.

وإذا ما بحثنا في الطرح الذي قدّمه سوسير نجد أنه أشار إلى التصور السيميائي أثناء بحثه في اللسانيات، إذ تنبأ بوجود علم أشمل من اللسانيات، فهو يرى أنّ عملها -أي اللسانيات- ينحصر فقط في «دراسة اللغة الإنسانية بمعناها العادي، فهي ليست سوى جزء من هذا العلم العام الذي يختص بدراسة كلّ أنظمة العلامات (اللسانية وغير اللسانية) بحيث أنّ القوانين التي قد تكشف عنها السيمولوجيا أو تتوصل إليها هي صالحة وقابلة للتطبيق عن اللغة نفسها»⁵، وبهذا يكون «المشروع السيمولوجي تأسس على رؤية سوسيرية، وكان منحصرًا في اللغة لا يتجاوزها إلى النطاق المعرفي للعلوم الإنسانية، ومنها السيميوطيقا وجميع الأنساق الدالة ويعتبر هذا المشروع في إطار نظرية الإبلاغ عبارة عن تطبيق آلي لأنماط العلاقة اللغوية، ومن هنا بدأ وكأنه ملحق بالأسنسية»⁶، وبالتالي يمكننا الإقرار بأنّ السيميائيات تهتم بالدرجة الأولى بدراسة العلامة، سواء أكانت هذه الأخيرة علامة لغوية أو غير لغوية، لأنّ «كلّ شيء في الكون هو علامة، والسيميائية هي العلم الذي يعنى بالعلامات عامة، لهذا تشمل السيميائية كلّ مظاهر الكون والحياة»⁷.

أما عن مصطلح السيميائية فلا بدّ على كلّ باحث أن يتعرض له، وذلك لمعرفة دلالاته، وكذا ليسهل عليه التعامل مع المنهج السيميائي، ومن هنا نقول أنّ كلمة سيميائية أو سيمولوجيا بالأحرى مأخوذة من «أصلها اليوناني *sèmeion* الذي يعني العلامة و*logos* الذي يعني الخطاب، والذي نجده مستعملاً في كلمات: *sociologie* علم الاجتماع، و*biologie* علم الأحياء،... وبامتداد أكبر كلمة *logos* تعني العلم... فيصبح تعريف السيمولوجيا على النحو الآتي: علم العلامات»⁸، ويعرف أيمبرتو إيكو السيميائية بأنها علم «يدرس سائر ظواهر الثقافة، بوصفها أنظمة العلامات... وهي جوهرها (اتصال)»⁹، وبالتالي يختص هذا المنهج بدراسة العلامات اللغوية وغير اللغوية على غرار المناهج النقدية الأخرى.

لم يكن للسانيات سوسير الفضل كله في انبثاق المنهج السيميائي، بل لمع اسم آخر في سماء النقد الحديث ساهم في تبلور الدرس السيميائي الحديث ألا وهو شارلز ساندرس بيرس، والفرق بين ما طرحه بيرس وما طرحه سوسير يكمن في طريقة التناول والنظر إلى العلامة السيميائية بحدّ ذاتها، إذ «نجد بيرس يطرح نظرية سيميائية ويدرج ضمنها كل ميادين الدلالة من دون إبداء اهتمام باللسانيات، -كحال سيمولوجيا سوسير-، بل نجده يركز على نظرية ظاهرية، وعلى منطق العلاقات والميتافيزيقا

مما يجعل مشروعه السيميائي يأخذ آفاقا واسعة في شكل فلسفي¹⁰، هذا ما دفع إلى ظهور فئتين من النقاد فمنهم من انحاز إلى الاتجاه السوسيري، وراح يطلق على هذا العلم السيميولوجيا، ومنهم من اتبع بيرس وأصبح يطلق عليه مصطلح السيميوطيقا . تطوّر الدرس السيميائي تدريجيا وسعى إلى البحث عن الدقة العلمية والموضوعية، ولعلّ هذا يعود إلى التفكير العلمي للناقدين بيرس و، اللذان عملا على إنشاء منهج علمي يعتمد على المنطق في تناوله للعلامات، لكنّ المميز الآخر للسيميائيات المعاصرة هو انفتاحها على أكثر من فضاء، مستهدفة المعنى والدلالة في كلّ تشكلاتها، مع العلم أنّ البرنامج السيميائي في بدايته مع سوسير (لم يكن قاصدا بالخصوص سوى العلامات غير اللفظية (non verbaux) كالإشارات العسكرية، وأدبيات الاحترام، وأبجدية الصم والبكم...)، بينما الاتجاهات السيميائية اليوم أصبحت تدرج في خانة العلامات كلّ ما يملك السمة الثقافية كالخطابات الأدبية والاجتماعية (قانونية، أسطورية، دينية... إلخ)، ودراسة التمثيلات المشاهدة (كتابة، صور ثابتة أو متحركة، صور فوتوغرافية،... إلخ) والتنظيمات الفضائية (الهندسة المعمارية...) وكلّ الممارسات السيميائية (موسيقى، ملابس، طبخ،... إلخ)، وبكلمة موجزة، يتعلق الأمر بتحليل أي شيء في إطار ثقافة معينة يكون له معنى¹¹، وبالتالي يمكننا القول بأنّ العامل المشترك بينهما هو البحث عن المعنى والدلالة الذي يختص بالبحث في العلامات ، ومن خلال ذلك يتضح عمل السيميائيات، أي أنها تهتم بالعلامة سواء أكانت لغوية أو غير لغوية، فمن «الشائع اعتبار بيرس وسوسير معا مؤسسي ما يطلق عليه عامة السيميائية قد أسسا لتقليدين كبيرين، ويستعمل أحيانا مصطلح السيميولوجيا للإشارة إلى التقليد السوسيري، بينما تشير السيميائية إلى التقليد البيرسي، لكنّ من الشائع في أيامنا استعمال السيميائية لمصطلح عام يشمل كلّ الحقل المدروس»¹²، أي أنه علم شامل لكلّ العلوم. هذا فيما يخص البدايات الأولى للسيميائية التي مرت بمخاض عسير، إلا أنها استطاعت وفي وقت قصير فرض سلطتها على أغلب البحوث «التي يتبنى أصحابها مقتضيات العلمي في قراءة الأنظمة الدالة باللسان وغير اللسان»¹³.

3. العلامة السيميائية وأثرها في تأويل الخطاب:

ارتأينا أن نقدم نبذة عن نشأة السيميائية التي لا بدّ لكلّ باحث التطرق إليها، لأنه ليس لنا أن نتطرق إلى الحديث عن علم دون العودة إلى عوامل نشأته، أو دون التطرق إلى خلفياته المعرفية والفلسفية، وأكثر ما يهمنا في هذه المداخلة هو الحديث عن العلامات السيميائية وأثرها في تأويل الخطاب، فإذا ما عدنا إلى تعريف العلامة فإننا نجد من يعرفها على أنها: «رموز اصطلاح عليها لتثير في النفس معاني وعواطف خاصة، والألوان والأصوات والعطورات تنبعث من مجال وجداني واحد، ونقل صفات بعضها إلى بعض يساعد على نقل الأثر النفسي كما هو أو قريب مما هو، وبذلك تكتمل أداة التعبير بنفوذها إلى نقل الأحاسيس الدقيقة»¹⁴، ويعرفها **فاردينا دي سوسير** على أنها «وحدة نفسية ذات وجهين مرتبطين ارتباطا وثيقا، يتطلب أحدهما الآخر، أما الوجهان فهما **التصور concept** و**الصورة السمعية image acoustique** ، والتأليف بينهما يعطينا الدليل الذي يتوفر على مكونين اثنين: الدال والمدلول، وبالجمع بينهما يكون المعنى، إلا أنّ العلاقة بين الدال والمدلول اعتبارية»¹⁵، وبالتالي العلامة عند **سوسير** تأخذ شكل بنية نفسية، تجمع بين الصورة السمعية والتصور، بعيدا عن الواقع الخارجي.

أما **بيرس** فيعرفها بأنها «شيء سواء كان هذا الشيء محسوسا أو مدركا، مهمتها أن تكون هوية تعريفية لشيء آخر، وهذه العلامة (الشيء) تخلق في ذهن شخص ما تصورا ذهنيا بإمكانه أن يكون علامة دالة على ذلك الشيء»¹⁶، وبالتالي

يمكننا القول أنّ العلامة في نظر بيروس هي شيء يستعمله شخص ما ليبر عن شيء بداخله، أو بالأحرى نقول يستعمله لهدف ما، وما يجب التأكيد عليه هو أنّ العلامة ليست ثابتة بل تتغير بشكل مستمر، كما يرى أنه «لا يمكن البحث عن المعنى خارج العلامات، ولا يمكن أن نفكر دون علامات، فالمعنى موجود في العلامات والعلامات وحدها هي السبيل إلى إنتاج الدلالات وتداولها»¹⁷.

هذا «وقد قسّم بيروس العلامات - بحسب موضوعها - تقسيماً ثلاثياً شهيراً: 1- أيقونة: (icône.icon)، 2- قرينة (indice.index)، 3- رمز: (symbole.symbol)، تتحدد الأيقونة بحسب علاقة تماثلها مع حقيقة العالم الخارجي (...) والقرينة بعلاقة التلاحم الطبيعي (...) أما الرمز فيؤسس على الاتفاق الاجتماعي البسيط»¹⁸.

فمن خلال هذه التعريفات والتقسيمات التي قدمها كلّ من سوسير و بيروس يمكننا الانتقال إلى الحديث عن علاقة العلامة السيميائية بالتأويل، هذا الأخير أضحت له مكانة خاصة في الساحة النقدية المعاصرة، يرى امبرتو إيكو «بعد قراءته للفكر السيميائي المعاصر، أنّ السيميائيات تحولت من التفكير في العلامة إلى الاهتمام بتوليد النصوص، وتأويلها، وانزياح التأويلات»¹⁹، من خلال هذه المقولة يتبادر إلى أذهاننا أنّ العلامة السيميائية لها أثر في تأويل الخطابات، وعند قولنا خطاب هنا فإننا نعني النصوص المكتوبة والملفوظة، فإذا ما بحثنا في تعريف الخطاب فإننا نجد أنه يعني اللغة في طول العمل أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة، وهو هنا مرادف للكلام (parole) بتحديد سوسير²⁰، فالخطاب إذا يحمل في طياته معنيين، معنى ظاهر وآخر باطن، والمعنى الباطن للخطاب ألزم بالضرورة العلماء على الاهتمام به، بغرض الوصول إلى قصد المخاطب الذي صبّ من خلال خطابه أفكاره ورؤاه، هنا تتدخل ظاهرة التأويل التي تحاول فكّ الرموز المنغلقة على ذاتها، قصد الوصول إلى بيان المعنى من ما أراده المخاطب، وبالتالي يستحيل أن يحدث ذلك إذا لم يفهم السياق، فمثلاً إذا قلنا "زيد كالأسد" فإنّ لفظة أسد هنا تدلّ على معنيين، المعنى الأول "الشجاعة" أما المعنى الثاني فيدلّ على "الافتراس"، وعند فهمنا للسياق يمكننا اختيار صفة الشجاعة على الافتراس.

4. العلامة السيميائية وأثرها في تأويل الخطاب من منظور سعيد بن كراد:

اهتمّ النقاد العرب بظاهرة تأويل الخطابات وبالسيميائيات على حدّ السواء، فظهر العديد من النقاد العرب الذين حاولوا صبّ جلّ اهتماماتهم على المنجز النقدي الغربي والنهل منه قدر المستطاع، بهدف الخروج من الممارسة النقدية البدائية التي عرفها العرب القدامى، «ولعلّ أهمها: سيادة الانطباعية والأحكام القيمية المستندة إلى مفاهيم متجاوزة. يضاف إليها -في أحيان غير قليلة- هيمنة الذائقة الشخصية للنقاد، -دون سند معرفي متين وأدوات إجرائية واضحة- على تحليل النصوص ومقاربتها، وإيلاء أهمية كبرى لخارجيات النص من ظروف اجتماعية وملابسات تاريخية وتوجهات إيديولوجية -على الرغم من أهميتها- وعدم إنصاتها لما يقوله النص، وإغفالها -بمقتضى ذلك- لما أفرزته التجارب النقدية والأدبية عند غيرنا، بل وحتى في تراثنا (...) مما تحولت معه كثير من المقاربات النقدية إلى مجرد كشوف بيانات واستمارات تملأ من قبل الناقد بحسب المنهج المتبع»²¹، فمع ظهور المناهج النقدية المعاصرة، أحسّ النقاد العرب بضرورة الخروج على نظامهم القديم، باحثين عن شيء

يخرجهم من الضائقة التي كانوا فيها، منهم من اتجه إلى الإطلاع على المنجز الغربي ومحاولة نقله إلى اللغة العربية، ومنهم من ارتأى التكوّن في معاهدتهم، والنهل مما جادت به قرائحهم، كلّ ذلك بغرض الخروج عن النظام البدائي في تحليل النصوص وإعطائها حقها ومستحقها، هذا لأنهم رأوا في المنجز النقدي الغربي أنه يحتوي على نظريات نقدية فعالة، ومناهج ساعدت وبشكل كبير على مواجهة النص ومقارنته، كما ساهمت هذه النظريات بطريقة أو بأخرى في تغيير تفكير النقاد من خلال تعاملهم مع النصوص، إلا أنها «لم تنجح في بلورة خطاب نقدي عربي متين حتى لا نقول نظرية عربية متميزة- لكونها لم تنجح في إحداث نقلة نوعية يمكن بمقتضاها تجديد آليات هذا الخطاب وإثراء منطلقاته بأصول نظرية جديدة»²².

ولعلّ أبرز اسم خاض تجربة النقد الحداثي، وبرز بقوة في المجال السيميائي هو اسم الناقد المغربي **سعيد بنكراد** الذي سطع نجمه من خلال عديد الأعمال التي قدمها في هذا المجال، حيث اهتم بالتأليف في مجال السيميائيات وكذا الترجمة من اللغات الأخرى، حاول جاهدا التأسيس للنظرية من خلال العودة إلى أصولها العلمية والفلسفية، غرضه من ذلك تقريبها إلى أذهان الباحثين والنقاد، من خلال ضبط أبعادها وتحديد منطلقاتها، عرف عنه أنه من أشد النقاد «تمسكا بهذا التوجه، وأكثرهم إلحاحا وإصرارا على النهوض به وتبويته أولى المراتب قبل أي عمل آخر سواء أكان ذلك ترجمة أو تنظيرا أم ممارسة تطبيقية»²³، كما أشرنا سابقا.

حاول **سعيد بنكراد** الغوص في مجال السيميائيات من خلال بحثه في موضوعها وحدودها النظرية ومبادئها التحليلية، قدّم العديد من المؤلفات في هذا المجال نذكر بعضا منها: السيميائيات : مفاهيمها وتطبيقاتها (2003)، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش.س. بورس، 2005، وغيرهما الكثير من المؤلفات والمقالات في العديد من المجالات بخاصة في مجلة العلامة، أدرجنا هذين العنوانين لأننا ارتأينا أنهما يخدمان موضوع هذه المداخلة أكثر.

اهتم **سعيد بنكراد** بموضوع السيميائيات من عدة جوانب، لعلّ أهمها كان جانب الموضوع والأصول الفلسفية العامة ومبادئها التي استمدتها من حقول معرفية أخرى كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا، فالسيميائيات في نظره هي التي «تهتم بكلّ مجالات الفعل الإنساني، إنها أداة لقراءة كلّ مظاهر السلوك الإنساني بدءًا من الانفعالات البسيطة ومرورا بالطقوس الاجتماعية انتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى»²⁴، كما ركّز على الأصول الفلسفية للسيميائيات من خلال البحث عن الإرهاصات الأولى في التراث الإنساني، إذ من العيب الإقرار بنشوء نظرية دون أن يكون لها إرهاصات ساهمت في نشوئها، جاء ذلك في قوله: «على الرغم من أنّ صياغة حدودها النظرية وتحديد مجالاتها لا تبدأ إلا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فإننا لا نعدم وجود أفكار سيميائية متناثرة على التراث الإنساني بشقيه الغربي والعربي، فقد حفلت كتب الأقدمين بإشارات تخصّ العلامة ومكوناتها وطرق إنتاجها وتلقيها في محاولة لفهم أسرار الدلالات التي ينتجها الإنسان في تفاعله مع محيطه»²⁵، وعليه يمكننا الإقرار بأنّ **سعيد بنكراد** استطاع التواصل مع التراث الإنساني والبحث من خلاله على تلك الشظرات المبعثرة هنا وهناك لها علاقة بإشارات خصت العلامة ومكوناتها، مما ساعد على فهم الدلالات، لأنّ السيميائيات كما هو معروف عنها، تعتبر الخطاب أو النص خزانًا من الدلالات، وتهتم بكل مجالات الفعل الإنساني؛ فهي بذلك آلية نقدية لمقاربة كل مظاهر وتجليات السلوك الإنساني بدءا بأبسط الانفعالات وانتهاء بأكبر الأنساق الإيديولوجية، وهي مجموعة من

المفاهيم المنظمة التي تمكن من وصف آليات إنتاج الدلالة داخل موضوع ثقافي ما²⁶، من هنا انبثقت السيميائيات التأويلية التي ساهمت وبشكل كبير في افتتاح عقول النقاد، وحثتهم على البحث أكثر في الدلالات المتعددة للخطابات، في حين أنّ السيميائية هدفها الأساسي هو تعدد ممارساتها، لأنها لا تقتصر أبداً على ممارسة محدودة ما جعلها تتميز بكونها نشاطاً معرفياً متكاملًا، وبالتالي نجد أنها لا تخرج عن هذا السياق عند **سعيد بنكراد** في قضية أنها لا تنفرد بموضوع محدد «فهي تهتم بكل الظواهر الثقافية الدالة وكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية بدل الاقتصاد على ما هو لسانی في هذه التجربة فقط؛ إن كل مظاهر اليومي للإنسان تشكّل موضوعاً للسيميائيات، وبعبارة أخرى فإن كل ما تضعه الثقافة بين أيدينا هو في الأصل والاشتغال علامات تخبر عن هذه الثقافة وتكشف عن هويتها. فالضحك والبكاء والفرح واللباس وطريقة استقبال الضيوف وإشارات المرور والطقوس الاجتماعية والأشياء التي نتداولها فيما بيننا، وكذلك النصوص الأدبية والأعمال الفنية، كلها علامات نستند إليها في التواصل مع محيطنا»²⁷، من هنا فإنّ هذا النص يوحى لنا أنّ **بنكراد** اعتمد في تحليله للنصوص على الأشياء المرتبطة بالإنسان من الجانب العقلي والوجداني والعملي، معتمداً على ما صاغه **بورس** في تناوله للسميوز، الذي تحدث عنه **بنكراد** في كتابه السيميائيات والتأويل قائلاً: «السميوز هي المدخل الرئيس من أجل إنتاج الدلالات وتداولها، وهذه العلاقة هي من الجودة والأصالة لدرجة أنها تحيلنا على سيروية تدليلية لا متناهية تفترض، من جهة، أن سلسلة الإحالات لا يمكن أن تتوقف نظرياً عند نقطة محددة، فالماثول يحيل على موضوع عبر مؤول، ليتحول هذا المؤول إلى ماثول جديد يحيل على موضوع آخر عبر مؤول جديد وهكذا إلى ما لا نهاية»²⁸، وبالتالي لا يمكن تصور حقيقة الدلالة ومفهومها دون سيروية السميوز، التي تتداول بين الماثول والمؤول، وبالتالي يكون الناقد قادراً على استجلاء الدلالات استناداً على المعطيات المباشرة، ومن هنا تتشكل العلامة.

5. خاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول بأنّ السيميائيات منهج استطاع فرض نفسه على بقية المناهج الأخرى، من خلال البحث في العلامات اللغوية وغير اللغوية، كما يعدّ من المناهج الأكثر انتشاراً وتداولاً بين النقاد سواء الغربيين أو العرب، وأنه كانت له خلفيات فلسفية ساهمت في نشوئه، على يد كلٍّ من **فاردیناند دي سوسير**، و**الأمريكي شارل ساندروس بيرس**، اللذان استطاعا أن يفتحاً شهية النقاد الذين أتوا من بعدهم على التمرد على المناهج السياقية التي تهتم بالبحث في السياقات الخارجية للنصوص دون العودة إلى النص في حدّ ذاته، والسيميائية إذا استطاعت أن تعيد النظر في مقارنة الدلالات من خلال التغيير في آليات النقد والاهتمام بنسق الخطابات، وقد كان اهتمام العرب بالمنهج السيميائي واضحاً من خلال ما تقدم إلى الساحة النقدية العربية من مؤلفات في هذا الجانب، ولعلّ الحديث في هذا الصدد يتوجه إلى الناقد المغربي **سعيد بنكراد** الذي اهتم بدراسة السيميائية والبحث في أصولها المعرفية والفلسفية، من أجل استجلاء مفاهيمها، وقد اهتم اهتماماً بالغاً بالمنجز الذي خلفه الأمريكي **شارل ساندروس بيرس**، فحاول نقل ما تلقفه من جراء بحثه في السيميائية بطريقة مبسطة من الجانب النظري وكذا التطبيقي، وخاصة في مؤلفين اعتبروا من أهم الكتب التي أثرت الساحة النقدية العربية، ألا وهما **السيميائيات والتأويل**، وكذا **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**.

6. هوامش البحث:

- 1- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلوي، عمان، ط1، 2006، ص9.
- 2- عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1996، ص7.
- 3- نفسه، ص7.
- 4- دايري مسكين، سيميائيات جوزيف كورتيس أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص9.
- 5- زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص99.
- 6- محمد السرخيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص6.
- 7- ألكسندر غريب، الاتجاه السيميائي في نقد الشعر، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002، ص159.
- 8- توسان برنار، ماهي السيميولوجيا؟، تر: محمد نظيف، ط2، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص9.
- 9- سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، ط1، دار إلياس العصرية، القاهرة، مصر، 1987، ص351.
- 10- دايري مسكين، المرجع السابق، ص15.
- 11- نفسه، ص16-17.
- 12- دانيال شاندرل، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ط1، المنظمة العالمية للترجمة، بيروت، 2008، ص30-31.
- 13- رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ط1، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص10.
- 14- عبد الرحمن محمد الوصيفي، تراسل الحواس بين القدامى والمحدثين، مكتبة الآداب، ط1، 2003، القاهرة، مصر، ص47.
- 15- محمد إقبال عروي، السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلة عالم الفكر، ص120.
- 16- الجبوري محمد فليح، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص46.
- 17- سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل (مدخل لسيميائيات ش.س. بورس)، المركز الثقافي، المغرب، ط1، 2005، ص30.
- 18- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص244.
- 19- دايري مسكين، المرجع السابق، ص18.
- 20- عمارية حاكم، الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1، 2015، ص26.
- 21- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2014، ص7.
- 22- نفسه، ص66.
- 23- نفسه، ص75.
- 24- سعيد بنكراد، السيميائيات، مفهوما وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط3، 2012، ص25.
- 25- نفسه، ص25-26.
- 26- عبد الله بريبي، السيميائيات التأويلية، <https://maamri-ilm2010.yoo7.com/t993-topic>.
- 27- الموقع نفسه.
- 28- سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، ص107.

